البروفسور يهودا شنهاف*

اليهود الشرقيون في كتب التاريخ الاسرائيلية

حول التعليم في إسرائيل، قمت بمعاينة أولية لكتب التعليم التي تتناول تاريخ الشعب اليهودي[1]، وقد حاولت من خلال هذه المعاينة الوقوف على أشكال تمثيل الجمهور (اليهودي) الشرقي وعلى الطرائق النصوصية والجوهرية التي يصا غ بواسطتها الخطاب حول الشرقيين.

وأود أن أستعرض هنا بايجاز ما خلصت إليه من استنتاجات وسط التركيز على درجة التمثيل (إنعدام التمثيل) وسلامة أو نزاهة اللغة وشكل التمثيل وسياقه.

الرواية

قبل سنتين فقط نشر مئير غال الدليل المسمى «تسع من أربعمائة» والذي يتناول كتاب شمشون كيرشنبويم الذي يحتوي تسع صفحات فقط عن اليهود الشرقيين (نحو ٢ إلى ٣٪).

تحليل كتب التعليم التي قمت بفحصها يؤكد وجود توجه مماثل ولم يطرأ عليه، كما يبدو، أي تغيير بمرور السنوات، فنسبة تمثيل الشرقيين في كتب التاريخ الراهنة لا تتعدى الـ ٤٪ في المتوسط، وفقما يبين الجدول التالي:

اسم الكتاب	عدد الصفحات المخصصة لليهود الشرقيين	٪
* يهودا رون: «تاريخ شعب إسرائيل في العصور الأخيرة»-لا يوجد تأريخ لصدور الكتاب (ربما في الستينيات) ٢٨٨ صفحة	٦	٢٪

* محاضر في جامعة تل ابيب بكلية العلوم الانسانية، وباحث في معهد فان لير. في نطاق المشروع الذي يرعاه «القوس الديمقراطي الشرقي»

* دافيد شاحر: وثائق الاستقلال: تاريخ شعب: تاريخ شعب اسرائيل في العصور الأخيرة.. ١٩٩٠ الجزء الأول: ٣٢٩ صفحة الجزء الثاني: ٣٧٠ صفحة	٢ ٥٤	٨٪
* موشيه ليفشيتس: «الصهيونية: شعب اسرائيل في العصور الأخيرة» ١٩٩٣ الجزء الأول: ٢٣٩ صفحة الجزء الثاني: ٤٨٢ صفحة	٧ ٣	٢٪
* ايلي بار نبيء: «القرن العشرين: تاريخ شعب اسرائيل في اسرائيل في العصور الأخيرة» ١٩٩٨- ٢٥٦ صفحة	١٢	٥٪

شكل التمثيل ونمطيته

عرضت روت فيرر التي بحثت (درست) بصورة منهجية كتب التعليم في سنوات ١٩٤٨-١٩٦٧، سلسلة من التعابير والأوصاف السلبية التي نسبت إلى الشرقيين، والتي تتكرر مراراً، ومن بينها: الجمود، العجز، قناعات سخيفة، التخلف والقذارة، التعفُّن والأوبئة، انعدام وقلة الثقافة، الوضاعة والإذلال[٢]. وينسب قسم من كتب التدريس للشرقيين نظرة مزدرية للعمل وتأثيراً ضاراً على مجتمع الاستيطان اليهودي القديم. ولوحظ أن عامل سلامة اللغة يطغى ويهيمن في النصوص الأدبية أكثر مما هو في كتب التاريخ. ففي الأولى (دراسات العبرية والأدب) ينبغي الانتباه جيداً للمصطلحات واستخدام الاستعارات وإلى أنماط وأدوات التحليل التي يتم استخدامها، هذا العامل يكتسب أهمية أقل في كتب التاريخ وإن كان لا زال مركزياً. ففي كتاب إيلي بارنبيء على سبيل المثال توصف عائلة «ساسون» من يهود العراق (ص١٢٧) بـ «روتشيلد الشرق»، لعل تبرير هذا النمط من التمثيل، والذي يصف الموصوف بمفردات وسمات لغوية مألوفة في الغرب، هو نتاج تسلسل تاريخي نظراً لأن أفراد عائلة روتشيلد ظهروا في المسرح الهيستوريوغرافي قبل الـ«ساسونيين»، بيد أن هذا «الظهور» غير معزول عن ظاهرة غياب التمثيل التي نحن بصددها. فمثل هذا الشكل من التمثيل يضفي صفة العالمية على الشخصيات والأحداث الأوروبية وبالتالي صفة الخصوصية-الذاتية-على الشخصيات والأحداث الشرقية. هناك مثال آخر على الظاهرة ذاتها نجده في تعبير «الأحزاب الطائفية» (مثلاً لدى بارنبيء ص٢١٦)، إذ يُنظر إلى الحزب الطائفي باعتباره حزبا شرقيا.

أما الأحزاب الأخرى (ابتداء من «مباي» التاريخي، مروراً بـ«حيروت» والليبراليين) فُينظر إليها كأحزاب عالمية على الرغم من «إشكنازيتها» الواضحة.

مؤخراً فقط طرحت منظمة «هلا» لمساعدة الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة كتاب تدريس يسمى «جولة في المستوطنات الأولى: فصول في تاريخ اليشوف» (كتاب مطالعة للصف الثالث صدر برعاية المجلس التعليمي في وزارة المعارف. أنظر أيضاً: «معاريف» ص٤ ١٦/٢/١٩٩٩).

ويحتوي النص على أوصاف نمطية لليهود من أصل يمني، إضافة إلى مظاهر وتعابير تعكس «عقدة-رهبة-الأجنبي» ولا نريد القول عنصرية. على سبيل المثال في وصف الطفل اليمني، إذ لم يكن له إسم حقيقي كما هو حال أترابه الإشكناز أبناء المستوطنات (شارهلا، وميرهيلا وغيرهم) بل أطلق عليه «اليمني الصغير» (وليس «الهنغاري الصغير» أو «البولندي الصغير»). فقد أتى من «اللامكان»، بمعنى بدون سياق أو إرتباط تاريخي كذاك الخاص بأبناء المستعمرات (مهاجرو حركة «محبة صهيون»). لقد وُصف (الطفل اليهودي اليمني) بـ«الآخر»، الأسمر، الغريب، المختلف، المبهم: «سار الصبي في زقاقنا متنقلاً من بيت إلى بيت وهو يصيح.. جبنة.. جبنة، بلكنة غريبة، نصفها عربية ونصفها الآخر عبرية، بصورة غير واضحة، فسدت جميع الجارات الباب في وجهة».

ويمضي النص: «جميع الناس تحدثوا عنه، قالوا إنه عربي، وأنه متنكر... كانت الشائعات حوله جد مخيفة ومفزعة..». وينبؤنا

ومن هنا فإنه لا توجد لليهود الشرقيين منذ البداية، فرصة كبيرة في نطاق مثل هذا المنهج أو النمط. فالحركة الصهيونية كانت، على إختلاف تياراتها الرئيسية، حركة أوروبية، وشكلت بهذه الصفة موضوعاً لأبحاث وغايات النخب اليهودية الأوروبية منذ أواخر القرن التاسع عشر. وأية محاولة للإدعاء بأن يهود الشرق ساهموا في خدمة أهداف الحركة الصهيونية بصورة مماثلة لمساهمة يهود أوروبا، إنما هي محاولة محكومة بالفشل. فهي تُخضع منذ البداية اليهود الشرقيين لإطار خطاب هرمي يُقزّم مكانتهم أو مكانهم.

النص أيضاً بأن اليهود اليمنيين جاءوا إلى «أرض إسرائيل» لأنهم سمعوا بأنه يجري توزيع أراض بالمجان (بمعنى أنهم غير صهيونيين)، وأنهم سكنوا في الكهوف خارج أسوار البلدة القديمة بالقدس (غير حضاريين) وأن الفحص والتحريات أظهرت في نهاية المطاف بأنهم يهود (شُكك في يهوديتهم).

لا ريب في أن مثل هذا النص يجب إستبعادة فوراً من مناهج التعليم.

هنا، وفي هذه النقطة بالذات، ينبغي التنبه لإمكانية الوقوع في شرك معين، فكما يُبين لنا التاريخ المروي من تحت (أصوات وافادات- شهادات-اليهود من أصل يمني) والتاريخ البديل (مثل كتاب يهودا نيني عن يهود اليمن في طبريا) فإن هذا الوصف التاريخي مخلص لمظاهر عنصرية عديدة مارسها أبناء المستعمرات-المستوطنات- تجاه اليهود من أصل يمني. وللمفارقة فإن أي وصف يكون سليماً ولا غبار عليه من ناحية سياسية (يصوغ أو يطبع بطابعه جيلاً جديداً قد ينجح في إستئصال العنصرية من بين ظهرانية) يمكن له أيضاً أن يشوه الحقيقة التاريخية من خلال طمس وإزالة تاريخ القمع والإضطهاد.

لهذا السبب فإن المطالبة بكتابة نصوص نزيهة سياسياً يجب أن تكون مصحوبة بملاحظات ثلاث:

أ/ بايضاح أو ملاحظة أن النزاهة السياسية لا تعني شرعية تزيين الماضي، فنحن لا نريد ماضياً جميلاً، وإنما ماضياً يصف باستقامة علاقات القمع والاضطهاد، ومثل هذه الأوصاف للماضي يمكن أن تشكل درساً مفيداً بالنسبة للحاضر والمستقبل. ولا بد من الحذر من وضع تُفضي فيه النزاهة السياسية إلى إنكار الإضطهاد التاريخي.

ب/ ملاحظة أن النزاهة السياسية لا تقتصر فقط على وصف الأحداث حول الشرقيين، بل وتشمل أيضاً إعطاء فرصة لأصوات شرقيين من الماضي-الأصوات التي شهدت إنقساماً وقمعاً-باسماع صوتهم إلى جانب الأحداث. وعلى سبيل المثال فقد كنا نرغب بسماع أصوات كصوت إلياهو إليسار، شمعون بلاص، أو يوسيف دحوح هليڤي، كأصوات تاريخية شرقية مشروعة. ولا بد لهذا الغرض من مراجعة كتاباتهم (الصحافية) واستحضارها في ضوء السياق الذي كتبت فيه.

جـ/ على كتبةِ النصوص التنبُّه لتناسق وانسجام السياقات، وكذلك إعطاء تعبير لأصوات بديلة إنتقادية. وتتزين كتب التعليم عموماً بـ«بوكسات» (boxes) مؤرخين ومثقفين إشكناز (عاموس عوز مثلاً لدى بارنبيء ص٢١٦) في حين نادراً ما نجد نصوصاً لكتاب ومثقفين شرقيين.

سياق

يمكن التحدث، بصورة أولية جداً، ليس فقط عن مستوى التمثيل و«نظافة» اللغة وإنما أيضاً عن سياق التمثيل (طابع العرض أو الرواية التاريخية)، وعلى سبيل المثال فإن النص في كتاب التدريس يمكن أن يخصص سطرين فقط ليهود العراق (مثلاً في كتاب يهودا رون «تاريخ شعب اسرائيل في العصور الأخيرة في البلاد والشتات» بدون إشارة لسنة الصدور)، وسط تشويه تام للظروف التي أحاطت بقدوم هؤلاء اليهود إلى إسرائيل.

يقول رون: «عجلت نظرة ومعاملة السلطات المعادية لليهود (يهود العراق) في هجرتهم وقدومهم إلى البلاد»، هكذا بدون سياق أو

ظروف، ودون بداية أو نهاية. أو على سبيل المثال، ملاحظة أن أحد المقومات الأساسية في وصف تاريخ اليهود في الدول الاسلامية يتمثل في إهانتهم وإذلالهم، فالعلاقات بين اليهود والمسلمين تطرح دوماً في سياق من التنافر والعداء، على الرغم من أن العلاقات بين اليهودية والاسلام كانت أكثر إنسجاماً وتوافقاً بكثير من العلاقات بين اليهودية والمسيحية.

كذلك يتم تصوير اليمن وإيران باعتبارهما «المكانين الأكثر تخلفا وظلامية في العالم الإسلامي» (رون ص٨٢).

إن تاريخ يهود البلدان الاسلامية كما ورد في هذا الكتاب، وغيره، كان من الأفضل أن لا يُكتب [٣].

هذه الأمثلة وغيرها تتلخص أو تصب في فهم الإطار الذي يصوغ البحث التاريخي، وأود التنبيه في هذا الصدد إلى ثلاث ملاحظات على النحو التالي:

الملاحظة الأولى: ان الكتب التي نتناولها إختارت منذ البداية (ظاهرياً) التركيز على تاريخ الشعب اليهودي («شعب اسرائيل») وليس تاريخ «أرض اسرائيل» ذلك لأن الأخير يلزم الكتاب بالتطرق إلى سكان البلاد العرب. وكما بين د. أمنون راز كركو تسكين، فإن تاريخ أرض اسرائيل بين فترة «الهيكل الثاني» وبداية الإستيطان اليهودي في نهاية القرن التاسع عشر، لا يبحث تقريباً كجزء من نظام أيديولوجي يحاول إقامة صلة مباشرة بين خراب الهيكل و«العودة إلى صهيون».

فالإنتقال من تاريخ أرض اسرائيل إلى تاريخ شعب اسرائيل يبقي عن عمد سكان البلاد الأصليين مجهولين تماماً. ولكن، وكما يتضح من تحليل النصوص هنا، فإن هذه الكتب ليست كتب تاريخ شعب إسرائيل، وإنما هي كتب تثقيف بالصهيونية. فهي لا تروي تاريخ الجاليات اليهودية المختلفة على مر العصور، وإنما تخضع الرواية بصورة كرونولوجية لظهور وتطور الحركة الصهيونية[٤].

ولا تظهر الجاليات اليهودية في هذه النصوص إلاّ في التقاطعات التي تتقابل فيها مع الصهيونية، ومن هنا فإنه لا توجد لليهود الشرقيين منذ البداية، فرصة كبيرة في نطاق مثل هذا المنهج أو النمط. فالحركة الصهيونية كانت، على إختلاف تياراتها الرئيسية، حركة أوروبية، وشكلت بهذه الصفة موضوعاً لأبحاث وغايات النخب

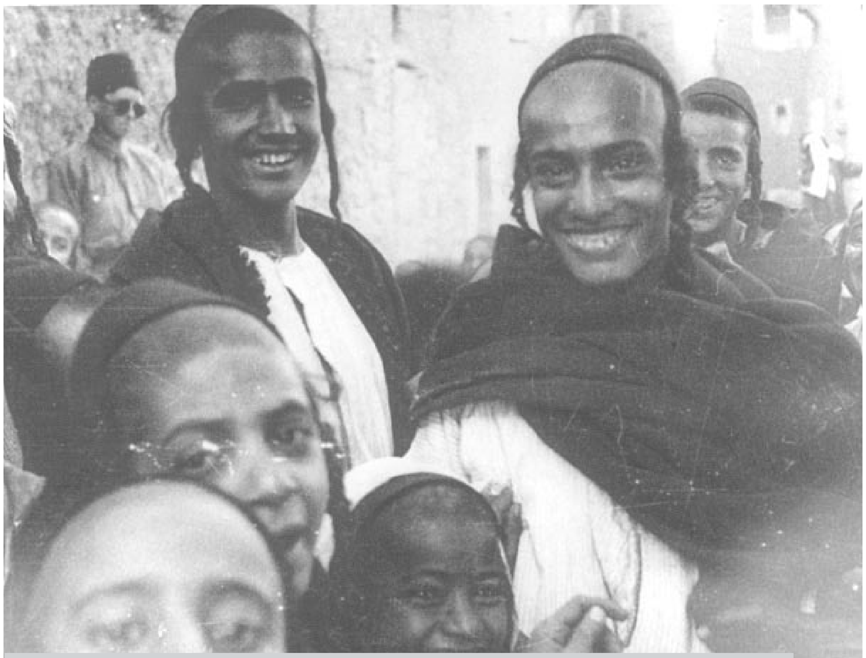

اليهود اليمنيون: تعاطٍ نمطي.

اليهودية الأوروبية منذ أواخر القرن التاسع عشر. وأية محاولة للإدعاء بأن يهود الشرق ساهموا في خدمة أهداف الحركة الصهيونية بصورة مماثلة لمساهمة يهود أوروبا، إنما هي محاولة محكومة بالفشل. فهي تُخضع منذ البداية اليهود الشرقيين لإطار خطاب هرمي يُقزِّم مكانتهم أو مكانهم. قد يتم تقديمهم، في إطار مثل هذا الخطاب، كمتساوين نظرياً، لكنهم سيبقون دوماً وبالمطلق غير متساوين في الممارسة العملية (equal but not quite). وعلى نحو مماثل، لا يمكن ليهود الشرق أن «ينافسوا» يهود أوروبا في درجة المذابح والقتل اللذين ارتكبتهما الآلة النازية. إن أية محاولة لإدخال اليهود الشرقيين إلى إطار هذه الرواية (التي تحولت إلى دين مدني وإلى إطار مُتضمَّن في المجتمع الاسرائيلي) لهي محاولة محكومة سلفاً باخضاع الشرقيين لهرمية يحتلون فيها مكانة «متدنية» مقدماً. وعلى سبيل المثال في الكتاب الواسع الانتشار لديفيد شاحر «وثائق الاستقلال» خصص فصل الهجرة الأولى (١٨٨٢-١٩٠٣) كفصل يَنصبُّ على نقاء الهجرة من أوروبا الشرقية (ص١٢٦-١٢٧). بعد ذلك فقط تطرق الكتاب لهجرة يهود اليمن العام ١٨٨٢، على نحو عابر وكملاحظة هامشية لا تَدْخُلُ أو لا تندرج ضمن التحقيب الصهيوني الكلاسيكي. (ص١٣٥). كذلك هي الحال تماماً لدى إيلي بارنبيء «القرن العشرون: تاريخ شعب إسرائيل في العصور الأخيرة»، إذ لم يرد ذكر هجرة يهود اليمن في الفصل الذي يتناول «الهجرة الأولى»، وإنما ورد ذكرها فقط في «بوكس» ضمن فصل آخر. فلا أمل للشرقيين في إسماع صوتهم داخل قالب بنيوي يسوق التاريخ عبر دهاليز الاجماع الصهيوني.

الملاحظة الثانية: في تحليل التاريخ حول الشعب اليهودي لا وجود إطلاقاً للتاريخ السياسي للشرقيين، لنأخذ مثلاً البحث في مسألة «ما هي الشرقية؟». فالمؤرخون وعلماء الإجتماع يميلون للبحث عن توصيفات–بمعنى طريقة للوصف والتصنيف–للشرقية. وعلى سبيل المثال فقد لاحظ الإنتروبولوجي هارفي غولدبرغ في كتابه «الإسبان ويهود الشرق»[٥] بأن إحدى السمات البارزة لليهود الشرقيين هي تأثير الثقافة واللغة الإسبانية عليهم، وهو تأثير ظل قائما طوال أجيال عديدة بعد خروجهم من إسبانيا. وقد إستخدم غولدبرغ هذا التحديد أو الوصف كأداة مُوجَّهة ومقصودة بهدف تتبع (تَعقُّب) تاريخ يهود إسبانيا في أميركا ووسط آسيا والشرق الأقصى واستراليا وحتى في فلسطين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. ويتحرى غولدبرغ مستوى تدين يهود إسبانيا (الأندلس)، مقارنة مع تدين اليهود الغربيين (الاشكناز)، وعاداتهم وتقاليدهم ومؤسساتهم التعليمية والعائلية وانماط التمدن والعصرية لديهم.

مثل هذا البحث يعتبر قطعاً مهماً ومثيراً، اللهم أنه يقفز عن المسألة المركزية المطروحة على بساط البحث، فهو من ظلال المماثلة التي يقيمها بين «السفارديم» (الإسبان) وبين «الطوائف الشرقية» أو «الشرقيين» يسوق البحث من نقطة ما في الماضي الذي يعتبره ذا صلة بالحاضر، كما لو أن «الشرقية» هي الوريث الطبيعي والشرعي للهوية «الاسبانية».

إن طريقة الرواية الكرونولوجية هذه للتاريخ، والتي تأخذ مساراً تاريخياً واحداً يبدو طبيعياً في الظاهر، تتغذى من موقف ذي فرضيات جوهرية، أساسية، وتنتج بحثاً غير سياسي. فـ«الماضي»، وهذا ما يجدر ذكره، ليس كينونة محايدة وإنما هو تصور أو مفهوم ملموس يُسخَّر لخدمة الأغراض والمتطلبات السياسية للحاضر. إن إحتواء وقولبة الشرقية داخل «الرواية الإسبانية» إنما يشوه ويمسخ مكانتها (أي اليهودية الشرقية) السياسية وصلاتها الخاصة بفهم المجتمع الإسرائيلي. فهي هنا مقيدة بسياق كلامي مسدود بين الفولوكلور والنفي، وهو في غالبيته حديث لا سياسي.

هنا في إسرائيل وُلِدَت الصلة والعلاقة بين اليهود المصريين واليمنيين، بين اليهود العراقيين والمغاربة. وتحولت أجهزة الجيش والتعليم، ومسارات التعليم المهني، والتوزيع السكاني، وبلدات التطوير، التي كان سبعون في المائة من سكانها يهود من الدول الاسلامية، إلى مراكز صناعية غنية بالعمل والأيدي العاملة. وقد فرضت كل هذه الأمور على الشرقيين تجربة حياتية مشتركة، وبلورتهم كطائفة متماثلة، طائفة مُتَخيَّلة في صورة الشرقية الاسرائيلية. وعلى هذا النحو فقط يجب طرح المسألة.

إن تتبع التاريخ السياسي لليهود الشرقيين يتطلب قلب الصورة ووضعها أولاً وقبل كل شيء في مكان أو موقع سياسي، مثلاً في اللقاء–التقاطع–التاريخي (أو في سلسلة من اللقاءات التاريخية) بين الشرقيين والصهيونية السياسية. فبهذه الطريقة نستطيع إستخدام هذا اللقاء كمتكأ أرخميدس بما يتيح لنا إستعراض تسلسل اليهودية الشرقية كمسألة سياسية، وليس كمسألة فولكلورية، ومن تحليلها أو «فكفكة» عناصرها. فالشرقية ليست الأندلس. وهي بالقطع ليست سمة شعائرية أو طقوسية، كما أنها ليس طرازاً من اللباس أو الثياب. إن الشرقية ظاهرة سياسية إنبثقت داخل سياق ثقافي سياسي وإصطبغت بألوان إسرائيلية–يهودية شديدة الوضوح.

وكمثال ممكن (من بين أمثلة عديدة) بالإمكان الشروع في سرد التاريخ السياسي للشرقيين في إسرائيل إعتباراً من «خطة المليون» التي طرحها بن غوريون. ففي تشرين الثاني ١٩٤٢ عرض «بن غوريون» أمام خبراء مجتمع الاستيطان اليهودي، خلال لقاء في «رحوبوت» خطة لجلب مليون مهاجر يهودي إلى أرض إسرائيل، وجاءت هذه الخطة في وثيقة مكونة من آلاف الصفحات تمحورت حول ما بعد رواية الديمغرافيا والنجاعة. وكانت خطط الهجرة الجماعية الواسعة من أوروبا تستحوذ على التفكير الصهيوني خلال القرن الماضي. فـ«نورداو» تحدث في العام ١٩١٩ عن هجرة ٦٠٠ ألف يهودي. كما طرح جابوتنسكي خطة تدعو لرحيل اليهود عن أوروبا وذلك في العام ١٩٣٨. في حين لم يكن يهود الدول الاسلامية نهائياً جزءاً من هذا التفكير الصهيوني[٦].

لكن بحلول الأربعينيات، وبعدما أخذت تتكشف حقيقة حجم الإبادة الجماعية التي تعرض إليها اليهود في أوروبا، بدأت الأنظار تتجه إلى اليهود في البلدان الاسلامية. رئيس شعبة الهجرة في الوكالة اليهودية، إلياهو دوبكين، شرح أهمية الجاليات اليهودية في الدول الاسلامية والتي قُدِّر تعدادها بنحو ثلاثة أرباع مليون نسمة بقوله: «تعرض الكثيرون من يهود أوروبا للإبادة في الكارثة (المحرقة النازية)، فيما كانت الأبواب موصدة في وجه يهود روسيا، ولهذا السبب فقد إرتفعت القيمة الكمية لهؤلاء اليهود الذين يصل تعدادهم إلى ثلاثة أرباع مليون نسمة، إلى درجة تحولهم لعامل سياسي عظيم الأهمية..»[٧]. عندئذٍ فقط إرتفعت القيمة الإضافية لليهود

جهاز التعليم الإسرائيلي: ممارسات اقصائية.

الشرقيين في نظر مجتمع الاستيطان الإشكنازي.

هنا وفي هذه اللحظة التاريخية سلِّطت الأضواء للمرة الأولى بصورة جادة نحو يهود الدول الاسلامية. لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي تخرج فيها العلاقات بين الشرقيين والغربيين (الاشكناز) عن نطاق العلاقات التناظرية (المتنافرة) وتوضع في معادلة القوة السياسية الكولونيالية. غالبية أعضاء إدارة الوكالة اليهودية عارضوا «خطة المليون» التي اقترحها بن غوريون، نظراً لأن هذا الحل لا يستجيب للمشكلة المطروحة وهي: إنقاذ مشردي الإبادة النازية في أوروبا. ولم توضع خطة جلب اليهود الشرقيين موضع التنفيذ سوى بعد قيام الدولة. جاء المهاجرون إلى إسرائيل من الدول الاسلامية، بيد أن شرقيتهم لا تكمن في هذه الحقيقة. فقد نشأت «شرقيتهم» كإفراز ثقافي-سياسي-إقتصادي إسرائيلي.

هنا في إسرائيل وُلِدَت الصلة والعلاقة بين اليهود المصريين واليمنيين، بين اليهود العراقيين والمغاربة. وتحولت أجهزة الجيش والتعليم، ومسارات التعليم المهني، والتوزيع السكاني، وبلدات التطوير، التي كان سبعون في المائة من سكانها يهود من الدول الاسلامية، إلى مراكز صناعية غنية بالعمل والأيدي العاملة. وقد فرضت كل هذه الأمور على الشرقيين تجربة حياتية مشتركة، وبلورتهم كطائفة متماثلة، طائفة مُتَخيَّلة في صورة الشرقية الاسرائيلية. وعلى هذا النحو فقط يجب طرح المسألة.

إن معظم هذه الممارسات الإقصائية والتكوينية (المؤسسة) هي من صنيع مؤسسات الدولة وما يدور في فلكها من جهاز تعليم ومؤسسات توطين واستيعاب، ووزارات الاسكان والمالية بالتعاون مع الصناعيين، ومكتب الاحصاء المركزي والجامعات ومراكز الأبحاث. أجل هنا وبهذه الطريقة ولدت «الشرقية اليهودية».

الآن يمكن الرجوع إلى الوراء، مثلما يفعل هارفي غولد برغ، للبحث عن الجذور التاريخية ليهود الشرق. وقد اكتشف غولدبرغ الكثير من السمات الجوهرية المتشابهة بين يهود الدول الاسلامية، لكننا نستطيع الآن التمييز بين الأحكام والمفاهيم الجوهرية وبين الشرقية كظاهرة سياسية، فبهذه الطريقة يمكن خلق جدل سياسي إيجابي حول الشرقية.

الملاحظة الثالثة: كإفراز للمجتمع الاسرائيلي، تستند كتب التدريس إلى تقسيم وفصل روتيني تعسفي بين الشؤون الخارجية (كالصراع مع الفلسطينيين) والشؤون الداخلية (كالشرخ بين الشرقيين والأشكناز) فالترابط بين هاتين الساحتين، والذي يخلق واقعاً إندماجياً واحداً، لا يجد تعبيراً له في كتب التدريس وكذلك الحال تقريباً في كتب الأبحاث. وعلى سبيل المثال فإن الكتاب القيم لبيني موريس، لا يعالج دور «الهجرة الشرقية» لاسرائيل وما ساهمت به في ولادة مشكلة اللاجئين (الفلسطينيين)[٨].

والعكس صحيح أيضاً.. فالكتب التي تتناول الهجرة الشرقية (حتى من وجهة نظر شرقية) لا تقيم صلة بين هجرة الشرقيين وبين قضية الفلسطينيين[٩].هذا الفصل يُسهم في تسييس المسألة الشرقية.

إن إعادة تحليل الشرقية قد يكون من شأنه الربط بينها وبين المسألة الوطنية الفلسطينية ووضع كلا المسألتين في إطار من العلاقات المتبادلة في التاريخ السياسي للشرق الأوسط. إن هذا التحليل، وإذا ما تم بأدوات متضافرة، من شأنه أن يفتح باب الإمكانيات على مصراعيه وأن يتيح أيضاً قول شيء جديد عن الإستراتيجيات التي أتبعت من أجل بناء القومية الاسرائيلية.

هذه المسألة سبق وأن تطرق لها إلياهو إليسار والذي إقترح النظر إلى العلاقات بين العرب والشرقيين والاشكناز بصورة أو في إطار جمعي–إندماجي، أي ليس كمفاهيم منفصلة وانما كمفاهيم ذات رابطة متبادلة ومستمرة. وحذر «إليسار» من الفصل النظري الخادع بل وإنضم إلى مجلس السلام الاسرائيلي–الفلسطيني الذي عمل من أجل الاعتراف المتبادل بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. وخلافاً لليسار الاسرائيلي الذي رأى في إعادة المناطق (الفلسطينية المحتلة) وسيلة للتخلص من المشكلة الفلسطينية، فقد رأى «بن إليسار» في المسألة الفلسطينية صورة أو مرآة تعكس مسألة أكثر تعقيداً تحتوي، وتتضمن ايضاً اليهود الشرقيين. فالفصل بين الاسرائيليين والفلسطينيين (وهذا ما يقترحه حالياً اليسار الليبرالي في إسرائيل) ينطوي أيضاً على فصل بين الهوية الإسكنازية والهوية الشرقية لليهود القاطنين في المجال[١٠].

الهوامش

١– الكتب التي استخدمت كعينة للفحص أُخذت بناء على توصية من مكتبه «لوتوس» في شارع ألنبي بتل أبيب، باعتبارها كتباً ذات شعبية واسعة في «تلك المنطقة»، ورغم أن ذلك لا يشكل عينة ممثلة فإنني أفترض بأن الاستنتاجات التي سنأتي على ذكرها تمثل وتعكس مضمون معظم كتب التدريس في الوسط العلماني. أحد أسباب ذلك يتمثل في درجة التماهي والإنسجام الكبيرين بين النصوص.

٢– روت فيرر (١٩٨٥) «وكلاء التعليم الصهيوني» تل ابيب: اصدار «الكيبوتس الموحد» ص٢٢٧.

٣– تجدر الاشارة إلى أن المؤسسات الشرقية تنتج نصوصاً من النوع المذكور وذلك في نطاق المحاولة لقبول واستيعاب الشرقيين كأعضاء كاملي العضوية في المجموع القومي. إحدى هذه المحاولات الساذجة بعض الشيء، تمثلت في كتابة نصوص وكتب بأسلوب ولغة «معادلة للإنبعاث» على الرغم من أن هذا الأسلوب الأدبي ذاته، أضحى موضع جدل وخلاف حتى في السياق الأوروبي.

حول محاولة كهذه أنظر:

مورا شموئيل وتسبي يهودا (١٩٩٢) «كراهية اليهود والأحداث الدامية في العراق» أور يهودا: مركز تراث يهود بابل.

٤– يكمن السبب الرئيسي في ذلك في نفي المنفى كما هو مبين لدى أمنون راز كركو تسكين (١٩٩٣) «منفى داخل الدولة: نحو انتقاد نفي المنفى في الثقافة الإسرائيلية» [تيئوريا فبكورت ٤ –ص٢٣–٥٥]، [تيئوريا فبكورت –٥، ص١١٣–١٣٢].

٥– Goldberg E. Harvey (1996) Sephardi and Middle Eastern Jewries.
Bloomington: Indiana University Press.

٦– كمثال معاكس ونادر يمكن الاشارة إلى مقال زئيف جابوتنسكي في العدد الأول من «مزراح ومعراف» [الشرق والغرب] ١٩١٩.

٧– هكوهين دبورا (١٩٩٤) «خطة المليون: خطة ديڤيد بن غوريون للهجرة الجماعية في سنوات ١٩٤٢–١٩٤٥» تل ابيب: وزارة الدفاع ص٢١١.

٨– بيني موريس (١٩٩١) «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ١٩٤٧–١٩٤٩» تل أبيب: عام عوفيد.

٩– يوسيف مئير (١٩٨٣) «الحركة الصهيونية ويهود اليمن» تل أبيب: اصدار «أفيكيم».

١٠– الياهو إليسار (١٩٧٥–١٩٩٧) «نحو التعايش مع الفلسطينيين» القدس: مسغاف.